إيحاءات من العمق الفلسفى والبعد الاجتماعى للإبداع *

أ.د. سيد أحمد عثمان

عندما رغب إلىّ أخى الأستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر فى أن أقدم لملف الإبداع فى مجلة « مستقبل التربية العربية » بادرت بالاعتذار، عفو البديهة ، وفى حسم قوى عجبت له وقتها ، كأن هذا الاعتذار ، فى عفويته وحسمه ، صادر من اختيار مستقر فى تكامل ، وقرار متحفر فى نضج ، فى عميق من تاريخى الخبرى . كان الاعتذار لأننى سوف أكون أمام اختيارين غير مقبولين عندى ، الأول – أن أمس الدراسات التى سوف يتضمنها الملف مسا خفيفاً رفيقاً رقيقاً، هيناً ليناً ، ألم فيه بما يتضمنه كل منها من فكر ، وذلك من سبيل التعريف المقرب لها ، والتمهيد الميسر لقراءتها . عمل يسير ومألوف ، ومطلوب ، ومرحب به ، ومستوف للشكل ، وآمن لأطرافه المشاركين فيه جميعاً . أما الاختيار الآخر فهو أن أقبل على الدراسات إقبالاً مهتماً ، مقدراً ، محللاً ، مفندا ، فأقرؤها قراءة إيجاب وتفاعل ، قراءة تجاوب وتدامج ، قراءة جوانية النص ، قراءة جوانية ذات القارئ ، لجوانية ذات الكاتب . قراءة إحياء للنص وليس مجرد استيعابه ، قراءة تفهم للنص وليس مجرد الإحاطة به . وإن مثل هذه القراءة ، صدق القراءة ، حق القراءة ، لابد أن تثمر فيها وجهات نظر قد تتباين ، أو تختلف أو تخالف ماجاء فى الدراسة . وان هذا التباين والاختلاف والتخالف يكاد يتحدد قدره ومقداره بما للدراسة من عمق وخصوبة ، من تفرد وخصوصية ، من قوة وحيوية . ولكن ماموقف صاحب العمل العلمى بيننا من التباين أو الاختلاف أو المخالفة لما يذهب إليه أو يراه ؟ هنا مفترق التقبل ، إما أن يتسع منه الصدر ، ويتراحب عنده القبول ؛ فيحسن الظن بمن وبما يغاير رأيه ، ويبصر فى المغايرة ما فيها من صدق هو فى صميم صالح عمله ، فينتفع به مرحبا وممتنا للمغاير الصادق ، وإما أن يضيق صدر صاحب العمل بالتباين أو الاختلاف أو المخالفه ، ويقف ممن ومما يغاير ما يراه موقفا متوجسا رافضا . وعلى الرغم من أننا لا نخطىء فريقا من أهل العلم عندنا يختارون

* عن كلمة ألقيت فى جلسة علمية أنعقدت فى كلية التربية – جامعة عين شمس بدعوة كريمة من الجمعية المصرية للدراسات النفسية، حول مقال نشر فى مجلة « مستقبل التربية العربية » فى يناير ٢٠٠٠ وإن كان تسلسل العدد هو يوليو ١٩٩٨ ، وكانت الجلسة فى مساء ٢٧ فبراير ٢٠٠٠ .

التسامح ، بل الترحيب بالموقف العلمى المغاير لموقفهم ؛ فإن زمرة من المشتغلين بالعلم منا يختارون الموقف الآخر . وإنه من أوجب الواجبات فى التكوين الأخلاقى للباحث العلمى عندنا أن يكتسب خصال التقبل السمح ، بل الطلب الصادق للتمحيص والتفنيد والنقد ، وأن تتأصل عنده خلال حسن الظن بالآخر العلمى، بقدرما تتأصل عنده سلامة القصد وخلوص النية عندما يتعامل مع نتاج عمل ذلك الآخر العلمى .

ولكن ، على الرغم من أن الاعتذار جاء عفويا وقاطعا ؛ فيبدو أن باطنه كان غير ظاهره ، ولم يكن نهائيا ولامنتهيا . عجيب أمر الإنسان وقراره ، إذ يبدو أنه فى أحيان مايكون القرار مثالا لازدواج الأضداد ، واندماج المتناقضات ، وامتزاج المتنافرات ، فيكون القرار محتويا ضده ، ومنطويا على نقيضه ، ويكون مساره ، أو مسراه ، فى عمق الواعيه ، وفى غور الإرادة ، معاكساً لما هو في بيين الوعي ، وظاهر الإرادة . بعد أن صدر منى قرار الاعتذار راجعت الأمر ، أو أن عمل عمق القرار ، أو حركة نقيض القرار ، أوصلتنى إلى قرار آخر ، هو أن يكون تقديمى لملف الإبداع متضمنا موقفي من الإبداع الذي طالما عرضت منه جوانب فى مناقشات وكتابات متفرقه . فكان مقالى ، عن العمق الفلسفى والبعد الاجتماعى للابداع ، . وكم كان أخى الدكتور مصطفى عبد القادر صبوراً كريماً معى نحو خمسة أشهر استغرقتها كتابة ذلك المقال .

ثم بادرنى أخى الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب ، وقد قرأ المقال ، بدعوتى إلى عرضه فى جلسة علمية محدودة العدد فى قسم علم النفس التربوى فى إطار نشاط الجمعية المصرية للدراسات النفسية . فهل أعرض المقال ، وهو منشور ، أم أعرض خلاصة له ، وهو شديد التركيز، مع طوله وتشعبه ، لا هذا ، ولا ذاك . لأنه لا يليق أن أعرض مقالا منشورا ، ومن يحضر جلسة علمية حوله لابد أن يكون قد قرأه ، ولاأقول درسه ، بل لا أقول محصه ، فنده ورأى فيه من الرأى ما يستحق أن يعلنه لصاحبه ، صاحب المقال ولأقرانه من الحاضرين المهتمين ، لايليق أن أعيد قراءة مقال منشور ومتداول . ثم إن الاتكاء والاكتفاء بالاستماع إلى عرض ، مفصل أو معجل ، مسهب أو مختصر لن يتحقق منه النفع الذى يجنيه قارئه المتمعن ، المتأمل ، المحلل ، فى «وحدته الثنائية» مع حيوية أفكار المقال وآرائه وتحليلاته . هذه الوحده الثنائيه ، أو « الخلوة الثنائيه ، بين القاريء والكلمات خلوة الائتناس بالكلمات ، نظرا وفهما وتحليلا ، تأملا وتدبرا وتفكرا ، تقربا وتذوقا واستمتاعا ، هذه الوحدة القرائيه ، وحد ة الذات مع الكلمات ، هى

التى تجعل من القراءة عملا فى مستوى أعمق من الوجود المعمور معنى للإنسان ، عملا يرتفع به ذلك الوجود المعنوى للإنسان إلى مدارج أعلى لايمكن له أن يبلغها من مجرد الاستماع المسترخى ، المتنقل بين الفتور والاهتمام ، المتحول بين الذهول والانتباه . إلا أن يكون استماع إنصات مستغرق ، استماعا قريبا جدا من وحدة القراءة الثنائية ، أو خلوة الذات مع الكلمات . لا ، لن أعرض المقال ولا خلاصة له .

هذا ، ولما كنت قد فرغت من كتابة المقال منذ قرابة عام (فرغت منه فى ٢ / ٣ / ١٩٩٩) فإننى ما إن انتهيت منه إلا وقد « تجاوزته» . نعم، تجاوزته ارتفاعا واتساعا وعمقا ، لقد ارتقيت به ، أو ارتقى بى ، مدارج أعلى ، حتى أصبحت لا أستطيع ، ولا أسيغ أن أقف ، أسكن ، أن أجمد عندما فيه . العمل الصادق عمل دافق الحيويه ، دافع الارتقائية ، دائم التجدد ، موصول التجديد ، ضد طبيعته تجميده وتثبيته . العمل النابض بدفء القلب ، العمل الصادق ، يتأبى على أن يسجن فى هيئته التى خرج عليها ، أو يسجر (يقيد) فى صورته التى صدر بها . لقد أنبتت «خصوبة» المقال عندى بذورا جديدة ، وفتحت أمامى آفاقا رحيبة، وأثارت أفكارا وتساؤلات من متن ما قلت ومن هامشه ، ومن إيحائه ومن ظلاله . من علامات الفكر الحى ، كما هى علامة الإبداع ، أنه توليد متجدد الإيحاء ، متحفز الارتقاء .

وكان أن اخترت مما أنبته المقال ، أو حركه ، أو فتحه أو مما أوحى به أموراً ستة ألم بها فى هذه الجلسة العلمية الخالصة لوجه الله والعلم ، البعيدة عن « المؤتمرية ، الشكلية ، «المؤتمرانية ، الإعلانية ، جلسة صدق ورويه وأناه ، جلسة قرب وود وتفاتح ، فى جلال وهيبه ، دون دعايه أو إعلام ، وهى تحت رعاية ، أو فى رعاية الحق والصدق ونوايا النمو العلمى المحفوف بالنقاء الأخلاقى . هذه الأمور السته التى اخترت أن ألم بها فى مشاركة ودودة مع شاهدى الجلسة العلمية هى :

١ – العمق الفلسفى هو عمق نفسى ، والبعد الاجتماعى هو بعد نفسى .
٢ – النتاج العلمى المبدع وجود أكثر من حى .
٣ – التحيز الكتابى ، أو الأمى المغبون .
٤ – الفردانيه .
٥ – القبيلة الابداعيه أو أشباه الإبداع .
٦ – قياسية الإبداع .

١- العمق الفلسفي هو عمق نفسي . والبعد الاجتماعي هو بعد نفسي:

(أ) الحياة النفسية للإنسان فى عمق خصوصيتها معنى ، ووجهة . فما من نفسى إلا وهو فلسفى من جهات معناه ومغزاه ، قيمته وقدره ، وقيمه ، وجهته وقصده . مبهمة هى الحياة النفسية للإنسان وبهيمة ، وبهيمية ، إن نحن أغفلنا معناها وقيمتها ووجهتها ، أو تعاملنا معها نفسيا دون فلسفة. التعامل الحق مع الحياة النفسية للإنسان هو تعامل فلسفى نفسى ، أو نفسى فلسفى . الفلسفة النفسية هى السبيل الأوفق ، والأوثق ، والأرشد للتفهم الحق للوجود النفسى ، الوجود المعنوى الغزوى ، الوجود القيمى القدرى ، الوجود الوجهى القصدى للإنسان.

(ب) ثم أن الحياة النفسية للإنسان فى سياق وجودها وحركتها وغائيتها اجتماعية. فما من نفسى إلا وهو إجتماعى من جهات مكوناته ومحتواه وعملياته ووظائفه ، وغاياته ومراميه .

فالعمق الفلسفى والبعد الاجتماعى من تمام تصور حقيقة ما هو نفسى ، ومن تمام التعامل العلمى مع الحياة النفسية للإنسان ، وإن استبعادهما ، تجاهلهما ، إغفالهما ، التهوين من مكانتهما ودورهما نقص علمى ، قصور منهجى ، قبل أن يكون خللاً فكريا ، وضلالا فلسفيا ، ثم إنه انتقاص للظاهرة النفسية ذاتها .

المعنى ، والقيمة ، والوجهة فلسفة ، والمكون والمكنون ، والوظائف والعمليات ، فلسفى والاجتماعى ، متضايقان ، متكاملان ، لازمان للفهم الحق، للتفهم الصادق للحياة النفسية فى جملتها ، وللإبداع الإنسانى فى خصوصه .

٢ - النتاج المبدع وجود أكثر من حى :

إنه وجود غير منته ، وغير متوقف . إنه وجود تفاعلى ، تحاورى فى ذاته ، وفى السياقات من حوله ، الدانى منها والنائى . فمن تفاعلية النتاج المبدع وتحاوريته ما هو مبدعه ذاته، وما هو مع الآخر المحتفى به . أما ما هو مع مبدعه ذاته ، مع ذات من أبدعه ، فهو تفاعل تحقق ، بل تفاعل ارتقاء ، أو تحقق على مستوى أعلى . يحقق النتاج المبدع أقصى ارتفاع لذات مبدعه . وإنه بعد صدور هذا النتاج ترتفع الذات عليه ، بل ترتفع به ، يرفعها لتراه من منظور أعلى ، تبصر فيه إبداعا أعلى ، وتدرك فى ذاتها قدرة أرقى ، وينهض فيها توق أسمى . لن يترك النتاج المبدع صاحبه كما كان قبل إبداعه . لن تكون الذات المبدعة هى هي بعد إبداعها كما كانت قبله . إنها تختلف ، بل تفترق عما كانت عليه ارتقائيا :

ادراكا، استبصارا ، عمقا ، توقا ، دافعية . الإبداع صياغة ارتقائية ، صناعة كماليه.

أما تفاعلية النتاج المبدع مع الآخر المحتفى به احتفاء خاصا ، المحتفى به لخصوصية ذاته ، وتألق وجوده ، الآخر المقبل على النتاج المبدع اقبال دهشه واستكناه ، استبار واستفسار ، وغوص واستبصار . الآخر المقبل على النتاج المبدع اقبال قرب وود ، شوق وعشق . هذا الآخر المحتفى بالنتاج المبدع هو الذى يتفاعل معه ذلك النتاج تفاعلا إثرائيا ، ارتقائيا ، ليبدع فيه ، بل يبدع منه ، ذاتا أخرى أكثر ألقا وأشد توهجا . لا يتفاعل النتاج المبدع مع أى « متلق » أو « مستقبل » له . وأنا لا أسيغ هذين المصطلحين ، المتلقى والمستقبل ، فى التعامل مع الإبداع ، ولا فى التواصل الإنسانى فى مستوياته الأعلى . هذان مصطلحان يعبران عن الانفصال والمباعدة والبرود والهمود ، يوحيان بالسلب والركود ، بينما الالتقاء الحق مع نتاج الإبداع ، وفى كل تواصل رفيع حميم ، هو التقاء قرب وتواد ، التقاء دفء وتفاعل . هذا من حق الإبداع علينا ، حق سموه وحيويته . هذا من وضع الإبداع فى مكانه الأعلى ، لا من الوجود النفسي للإنسان فحسب ، بل مكانه الأكرم من الحياة . عمل النتاج المبدع مع ذلك الآخر المحتفى به هو عمل رافع ، فعل مستنهض ، نشاط مثر ، تفاعل مرق ، محمول على عرش من الشوق والعشق، عليه تتسامى فيه إنسانيته ، يسمو فيه إنسانه ، يزكو فيه إنسانا . ولا عجب ؛ فالنتاج المبدع مفعم بالقوة الارتقائية المخصبه للإبداع من الدفع الارتقائى فى الحياة ، ومن هنا ترقيته للآخر المحتفى ، وترقيته إدراكا وفكرا وذوقا وخلقا ، ترقيته معنى وقيمة ووجهة ، ترقيته تعاطفا وصدقا وتسامحا ونباله ، ترقيته سكينة وتواضعا وتآلفا وتناغما مع الآخر والحياة . نعم ، النتاج المبدع يرقى الآخر كما يرقى ذات مبدعه ، يرقيه إنسانا ، يرقيه فى إنسانيته ، يرقى الإنسان فيه . أليس الإبداع أشواقا ارتقائية ، ورؤى كماليه .

٣ - التحيز الكتابى . أو غبن الأمى :

قاصر علم النفس فى نظريه إلى الإنسان إن هو استمر وأصر على غبن الأمى . إنه يظلم نفسه ، وظلم فلسفه العلم ومنهجه ، بإنكاره ، وإبعاده للإنسان الأمى أو للإنسان فى الإمى ، أو لأمية الإنسان . اعتراف علم النفس بعالم الأمى الذهنى هو اعتراف بجدارة الإنسان ، بل وضع علم النفس على الجادة العلمية السوية ، على سواء الجادة العلمية . والحياة النفسية عند الأمى لها طبيعة بالغة الخصوصية ، وبالغة الخصوبة . بالغة الخصوصية فى تفرد طبيعتها غير اللغوية

الكتابية ، غير اللغوية الرسمية ؛ فهى لهذا ، وبهذا جديرة بأن يحتفى بها علم النفس عندنا أشد الاحتفاء . ثم إنها بالغة الخصوبة من طبيعة العمليات النفسية عند الأمى أدراكا وتفسيرا وتقويما ، واختيار وقرارا . ما طبيعة الحياة الذهبيه فى عالم الأمى، بنيانا ووظيفة ، تركيبا وعملا ، محتوى وحركة ، من دون اللغة الكتابية ، اللغة الرسمية ؟ كيف تقارن الحياة الذهنية فى عالم الأمى بتلك التى تتوسل باللغة الكتابية ؟ العالم النفسى للأمى ليس أدنى ، وليس متدنيا ، ليس غرا ولا قاصرا لكونه يدور ويدار بالهجة الدارجة ، ولست أقبل مصطلح اللغة العامية ؛ لأنها ليست لغه بل لهجة خاصة ببيئة أو بيئات بعينها ، ثم إنها غير مقتصرة على العامة ، أو العوام ، إذ هى مستخدمه عند الجميع ، « العلية » ومن هم دونهم ، بل إن من دونهم هؤلاء قد تكون «عاميتهم» ، لهجتهم الدارجة ، أرقى وأنقى وأخف ظلا من «فصحى» تلك العلية ، وهى فصحى كاريكاتيرية ، مهجنة ، ممسوخه ؛ فحص العولمة ، والسوق والبورصة ، والنادى الليلى . اللهجة الدارجة تطور ثقافى فكرى قيمى جمالى ، تطور ميراث خبرى اجتماعى أخلاقى ذوقى يجعل حامله ، بل متمثله ، غنيا فى وجوده المعنوى ، وجوده النفسى. لهجة الأمى الدارجة ، التى هى استصفاء معرفى وجدانى اجتماعى من مباشرة خبرات الحياة عبر دهور سحيقة تجعل حياة الأمى النفسية ممتلئة بخصوصية تلك الثقافة التى امتصها وتمثلها من لهجته الدراجه . الحياة النفسية عند الأمى هى وجود ذو خصوصية تعطيه حقا مؤيدا الأن يدرسه علم النفس عندنا . ومن خصوصية تلك الحياة النفسية الثرية إبداعها . مبدع هو الأمى فى لهجته الدراجة ، مبدع روائيا ، مبدع غنائيا ، مبدع موسيقياً ، مبدع شعريا ، مبدع فى المثل السائر ، مبدع فى الحكمة ، مبدع فى الخلق . أين إبداع الأمى فى علم النفس عندنا ؟ تعّرف إبداع الأمى محتاج إلى إبداع نفسي عند دراسته . إننى أتوقع . إننى أتوقع أن يكشف لنا العمل العلمى للإبداع عند الأمى عن عوالم جديدة ، زاخرة بالأفكار والأنوار ؛ فياضة بالحدوس والأبصار ، مما يوسع ، وقد يصحح ، من تصوراتنا العلمية عن الحياة النفسية ، لاعند الأمى فقط ، بل الحياة النفسية للإنسان بعامة ، والإنسان فى ثقافتنا بخاصة . ألا تزيدنا دراسة الحياة النفسية للأمى استبارا واستبصارا بذاتنا القومية ، وألا يزيدانا هذا تأييدا وتعزيزا وإعلاء لها .

٤ - الفردانية :

علم النفس المعاصر فردانى ؛ لأنة فى نشأته وتطوره فى الغرب ، والولايات المتحدة بخاصة كان متأثرا بثقافة فردية ، أو فردانية فردية ، أو فردانية فى أخص

سماتها . علم النفس فى الغرب ، وقد تأثرنا به فى اقتفاء ذاهل ، واتباع مخدر ، وتمثل مهيمن ، فردى فى كل منحى من مناحيه ، وكل مستوى من مستوياته ، وكل تصور من تصوراته ، وكل تحليل من تحليلاته . نجد هذا ، مثلا فى التعلم ، والإدراك ، والتفكير وفى التناول المعرفى فى عمومه ، بل حتى فى التعامل الأخلاقى . ومما أيد ودعم الفرردانية فى الثقافة الغربية ، والأمريكية على وجه الخصوص اقتصاديات السوق المعززه والمحبذه والمعليه لأخلاقيات السوق التى هى فردانية فى جوهرها ، فى محورها ، فى حركتها ، فى توجيهها . اقتصاديات السوق ، فى جانبها النفسى والأخلاقى ، هى تفريد تحقق الذات ، هى التحقق الأقوى والأقوى والأعتى والأشرس للفردية الغاليه المسرفة المعلية والحامية للفردانية . اقتصاديات السوق مؤكدة ومعززة ، بل مربية لأخلاقيات السوق . ألا نلتفت إلى هذا ؛ ألا ننتبه إليه نفسيا وتربويا ، ولا نحد نظرتنا بالنتاج الاقتصادى والرواج المادى ؟

ما أندر أن تؤخذ الجماعة الصغيرة ، الرهط ، فى الاعتبار عند تناول الظواهر النفسية فى علم النفس هناك ، حيث الفردانية الطاغية ، وهنا ، حيث الفردانية البازغة . ذاتى هو الإبداع حقا ، ولكن نوعا من الإبداع التشاركى ، الإبداع الجماعى ، الإبداع الرهطى ، لايمكن تجاهلة . ونحن أمة تشاركيه تعانيه رهطيه ، وإنه من الأنسب لثقافتنا والأنسب لعلم النفس عندنا أن يكون للرهط مكانه فى اهتماماته عند التعامل العلمى مع الظواهر والعمليات النفسية ، والتى منها الإبداع .

٥ - القبيلة الإبداعية أو أشباه الإبداع :

نحن فى أشد الحاجة إلى تعيين تميز خصائص الإبداع ، تحديد تفرد ملامحه ، تعرف أشد قسماته إنتسابا إليه واقتصارا عليه . استخلاص الإبداع فى نقائه ، فى نصوع خصوصيته ، ضرورى حتى يقوم شاخصا متميزا من بين نواتج النشاط البشرى ذات الطبيعة المبهرة ، الداعية إلى الدهشة والإعجاب ، والتى منها : الاكتشاف ، الاختراع ، حل المشكلة ، التجيد ، الحذق ، الإتقان . هل هذه من الإبداع ؟ هل هى من أشباهها تتمازج ، تخليلا وقياسا ، فى مراوغة ومخادعه ، فى إجراءاتنا وتفسيراتنا فى بحوثنا فى الإبداع ؟ أليس كل منها ذا طبيعة خاصة مغايرة للإبداع ؟ وأليس الإبداع فى خلوص نقائه ، مغايرا لها ؟ الإبداع هو تحقق الذات الأسمى ، تحقق الوجود الذاتى فى كليته ، فى سموه ، فى خصوصية كليته المتسامية ، الإبداع ليس نشاط جانب أو مستوى من الحياة النفسية للإنسان ، إنه

نشاط الكل ، أو هو الكل ناشطا ، إنه إنبثاق كل من كل . إنه تفرد الكل ، الكل المتفرد .

٦ - قياسية الإبداع :

هل يقاس الإبداع أصلاً ؟ هل يقاس الإبداع حقًا ؟ هل يقاس الإبداع أصلاً وهو على غير قياس ، وهو في جوهر الذاتيه ، وهو من ذاتية الذاتية ، وهو من العمق حيث لا ينال ، ومن الإرتفاع حيث لايطال ، ومن الاتساع حيث لايحاط به، ومن السيرورة حيث لا يقطع ، ومن الصيرورة حيث لايوقف ؟

ثم ، هل يقاس الإبداع حقا ، أم أننا نقيس ما نتصوره على إنه إبداع، وما هو مناسب لمقاييسنا ، وما مقاييسنا موضوعة له ؟ ألا نقيس نشاطا آخر غير الإبداع ، نشاطا شبيها بالإبداع ، أو شبه لنا على أنه إبداع؟

الإبداع كلى فى ذاتيته ، ذاتيته كلية ، لا يجزأ ، لا يسطح لا يوقف. الإبداع دينامى ، سيرورى ، زمانى تاريخى ، زمانى ارتقائى ، بهذا لا يقاس بما يتعارض ، بل يناقض أخص خصائصة تلك ، لا يقاس الإبداع أصلا ، بل يقترب منه ، ويتعرف إليه ، يؤتنس به ، يتعاطف معه ، مجاورة ، ومحاورة ، تعمقا ومسايرة ، ذاتا مع ذات ، ذاتاً في ذات ، ذاتا بذات . لايتحقق تمام فهم الإبداع ، أو تفهه ، إلا بأن يعطيه دراسه ذاته كلها ، لذاته كله . هذا هو المنهج الذى يفضى إلى أعمق معرفة ، أصدق معرفة ، والذى يفيض منه أقرب تفهم ، أوثق تفهم . معرفة الحب ، وتفهم العشق .

ولكن هل هذا علمى ؟ إنه علمى لابمعنى الوضعية الجامدة الصارمة ، والإجرائية المحددة الجازمه ، بل إنه علمى ، حق العلمية ، بمعنى الشمول والصدق، بمعني شمول الخبرة الذاتية واحترامها في كليتها ، وتكامليتها ، وديناميتها ، وإرتقائيتها . إنه لعلمي في إنسانيتهً ، في نزاهة موضوعيته الحق ، موضوعية ذاتيته الناضجة ، المتحررة ، المحررة .

ألسنا إذ نحرر ذاتيتنا نحرر موقفنا ومنهجنا فيسدَّد ، ونحرر أدواتنا وقياساتنا فترشَّد . ألسنا بهذا التحرر الفلسفى المنهجى نجلى غيوما سماوات علم النفس عندنا لتشرق فيها شمس إبداع تنير آفاقها وتدفئها وتنعشها .

أرجو وإنى معكم مرتقب .